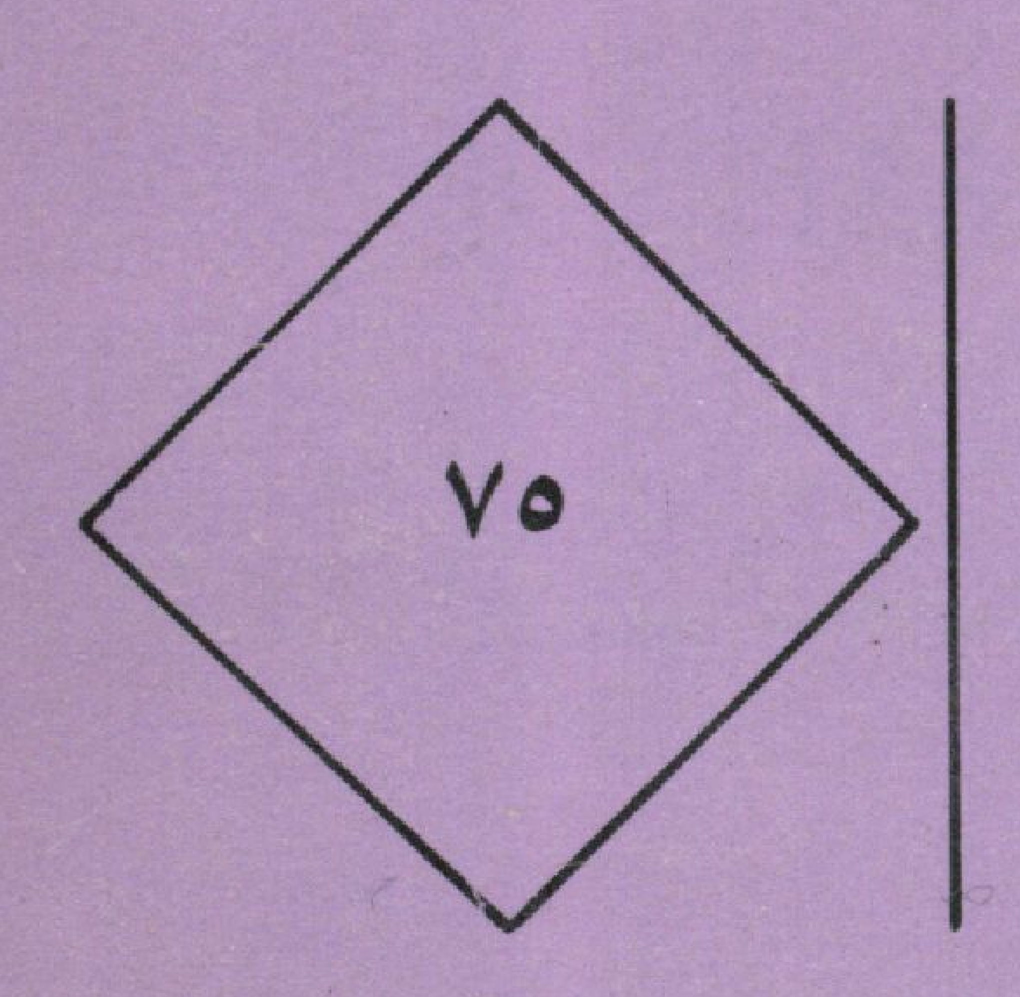
مختارات فصول

اذعان صغير

فهد العتيق



مختارات فصول

سلسلة أدبية شهرية

(٧٥)

ابريل ١٩٩٠

مختارات فصول
سلسلة أدبية شهرية
تصدر عن
الهيئة المصرية
العامة للكتاب

الغلاف تصميم الفنان : سعد عبد الوهاب

مختارات فصول - مختارات فصول - مختارات فصول

إذعان صغير

(قصص)

فهد العتيق

الجزء الأول :

- اذعـان صغير
- حصـــة رسـم
- شروق البيت
- تلك القصة القصيرة
- فوزان يقرأ الشوارع ليلا
- رجـلان
- عمود التراب

اذعان صغير

نهضت فى التاسـعة صـباحا ·· ذهبت الى دورة المياه ، اغتسلت وعدت الى فراشى ·

كنت على وشك الدخول فى اللحاف الدافىء لما رأيت يدا بجانبى تمتد نحوى وهى تحمـل ورقة بيضـاء ، مددت يدى ، تناولت الورقة ·· لأقرأ :

« نحن مكتب الحقوق المدنية نطلب منك أن تحضر أمام السيد مدير المكتب فى العاشرة صباحا » ·· وكلمة « تحضر » وضعوها بين قوسين أحمرين شديدى اللمعان كأنما هما مرسومان للتو ، وفى أسـفل الورقة « ختم أزرق كبير وعليه تاريخ الأمس وتوقيع المدير » ·

الآن بقى ساعة على موعد الاذعان أمام السيد مدير مكتب الحقوق ، وعلى حقيقة أن أذعن ، حتى لا يزداد الأمر سوءا ، نهضت وتناولت افطارا سريعا ، ثم خرجت الى مكتب الحكومة ، دخلت المبنى بنشوة غريبة ، رسمية وجادة ، فبقدر ما أكره مثل هذهالأماكن بقدر ما أجدنى

مذعنا ومنتشيا بشكل مضحك ·· فأنا دائما هنا أتحدث بصوت جديد ، غريب ، مرتفع قليلا ، ويضحك ، ربما لاحساسي بأن على أن لا أذعن لهم بشكل جاد ، وصلت المكتب ودخلت ، جلست على يسار مدير المكتب الذي لم يهتم لدخولى ، وبدأت أشرح له كيف اني صعوت أصلا لأذهب الى الحمام ، وفوجئت بيد تسلمني ورقة المكتب· ورأيت جارى فجأة يجلس قبالتى على يمين مدير المكتب ·· نهضت بسرعة ، شددت على يده وأنا أضحك ·· سألته : وأنت أيضا طلبوا منك أن تذعن ؟ ·· ابتعد بوجهه عني ·· عدت الى الكرسى مهزوما ·· ليسألنى المسئول فجأة :

انت صاحب سرب الحمام الذى يحلق فى الحارة ؟

ـ نعم ·· لكن ما علاقة ·· ؟

الحمام الذى يطير فى فضاء الحارة رقم ١٢ ؟

ـ نعم !

وفجأة تحدث جارى بصوت مرتفع قليلا كما لو انه يخطب :

أيها المدير :

لقد امتلأ سطح منزلى بالحجارة ·· وهذا الرجل غارق في جنونه المتصل منذ سنين ·· وأنا أريد حلا عاجلا ··

أدركت ان جارى هــو غــريمي ٠٠ ورنت كلمــة « جنونه » فى أذنى بقوة ٠٠ كأنها صفقة ٠٠ فنهضت وقلت له :

ــ اخرس ٠٠

كنت أريد أن أقول له ان عليه أن يحترم المكان على الأقل ٠٠ ولكن مدير المكتب تدخل بسرعة ٠٠ وسألنى :

ــ جارك يدعى انك ملأت سطح منزله بالحجــارة وانك تطارد حمامك فى الفضاء بشكل مزعج للجميع ٠

ــ ليس صحيحا على الاطلاق ٠

ــ وانك تتراجم مع أطفــاله بالحجــارة وأصبت أحدهم بشج فى رأسه ٠

ــ يا سيدى : انهم ليسوا أطفالا ٠٠ انهم شياطين صغار ٠٠ مثل والدهم ٠

رأيت جــارى ينتفض ويقف بسرعة ٠٠ فأومأ له المدير بحركة غامضة ٠٠ كانت ايماءة مريبة جعلتنى أشعر أن بينهما اتفاق ما ٠٠ وملأنى شعور بالضــآلة أمامهم ٠

قال المسئول لى :

ــ هذا الحمام عنــدما يحلق في الفضــاء بشــكله

الجميل يغرى بعض الصغار لملاحقته اما بعيونهم السوداء الصغيرة ·· أو بحجارتهم ·

وعقب الجار :

ــ وهم أطفال فى نهاية الأمر ··

ثم ضحك بسخرية وكرر ·

ــ مجرد أطفال ·

قلت للمسئول :

ــ لفظة يلاحقونه ليست دقيقة ·· قل يطاردونه بأحجارهم الكبيرة التى ملأت بيتى وأفزعت أطفالى ·

قال :

ــ طبعا انت تصرف على هذا الحمام ·

ــ تبادل منفعة سيدى ·

ــ وهو يتلقى أوامرك ·

ــ ليس دائما ·

ــ اسمع ··

ــ نعم سيدى مدير الحقوق المدنية ·· أنا معك·· أنا جئت هنا لكى أذعن كما جاء فى خطابكم الموقر · ونحن فى آخر الأمر مواطنون مذعنون بشكل أو بآخر كما ان ·· !

وقاطعنى المسئول :

ــ عندما يطارد الأطفال حمامك بالحجارة ·· وتتأذى انت ويتأذى جارك تكون انت المسئول ·

ـ ليس بالضرورة ٠

ـ أليس الحمام يخصك وحدك ؟

ـ ولكنه في نهاية الأمر مجرد حمام لا يستحق منكم ٠٠ ثم ان أطفال هذا الرجل يقصدون الاساءة لى بشكل مستمر ٠٠ لقد كانوا يجمعون أطفال الحارة في سطح منزلهم لملاحقة الحمام ٠٠ حتي وهو بعد راقد في أعشاشه ٠

وأنا يا سيدى ٠٠ وجدت ان المسألة بدأت تأخذ شكل الحرب ٠٠ قلت اننى لست ضعيفا الى حد الصمت على الاهانة ٠٠ وبدأت أبادلهم الرجم ٠٠ اعترف لك بهذا ٠٠ لأننى لا أكذب وأتمنى أن تصدهم عنى ٠٠ لأنهم بدأوا فى الأيام الأخيرة يستخدمون النبال الصغيرة ٠٠ وأنا الآن أعلن اذعانى أمامكم لكى أحصل على حقى ٠

ـ حقك فى ماذا ؟

ـ هذا الرجل الجالس أمامى ٠٠ عصر أمس ٠٠ كان يجلس القرفصاء أمام بابه ويضحك ٠

ـ وهل كنت تنتظر أن يبكى ٠

ـ كنت أنتظر أن يرمى الحجارة مع أطفاله ٠٠ لأننى كنت أشاهده يصنع لهم النبال الصغيرة التى أثارت رعب أهل بيتى ٠

ـ انت تتحدث كما لو انهم يقصفونك بالقنابل ٠

ـ أجل كما لو انهم كذلك ٠٠ لأن الحجارة تتساقط على سطح منزلى وتحدث دويا هائلا ٠

ـ يا رجل ماذا تقول ؟

ـ يا سيدى الحجارة الآن تتساقط على سطح منزلى ٠٠ وربما غدا تسقط على سطح مكتبكم الجميل هذا ٠

ـ اسمع ٠٠

ـ نعم ٠٠

ـ نحن مكتب الحقوق المدنية ٠٠ نرى ان عليك بيع الحمام ٠

ثم يلتفت الى جارى :

ـ وعليك انت ايقاف أطفالك عن رجم الحجارة ٠
وأضاف لنا جميعا :

كل هذا من أجل سلامة الحارة ٠٠ وسوف نحقق فى الأمر بعد أسبوع ٠٠ تدخلت فى شأن قرار المكتب ٠٠ قلت للمدير المسئول ان هذا سيكلفنى كثيرا ٠٠ وقلت له ان سكان الحارات الأخرى يطيرون حمامهم بحرية ٠٠ وقلت له أيضا ان جارى هذا الجالس أمامى، سبق أن عرض على شراء حمامى ٠٠ وانه من أجل هذا ٠

قاطعنى المسئول :

ـ عليك تنفيذ الأمر فورا ·· وتوقيع هذا التعهد·
وقعت التعهد وخرجت :

دخلت بيتى · زرت دورة الميـاه ·· اغتسلت ··
عدت الى مرقدى مرة أخرى ·· ورأيت فيما يرى النائم
ولم أكن بنائم ·· اننى أبيع الحمام الجميل ·· وكنت
أرى جارى ·· وأطفاله ·· ومدير مكتب الحقـوق ··
على سطح بيت جارى يبنون الأعشاش ويطيرون حمـاما
جميـلا فى فضـاء الحارة ·· ويومئـون له بالبيارق
الحمراء ·· و ·· كانوا يتضاحكون فى وجهى ·

حصة رسم

(الساعة السابعة صباحا)

● في برودة الحجرة الدراسية المكتظة بالأطفال ، الرؤوس المسترخية على الكراسي الخشبية تبدو على وجوهها ملامح كسل صريح ، ورغبات عميقة في النوم، تختبيء خلف ستار ثقيل من الخوف والحزن .

جدران الحجرة صفراء يتساقط جيرها من آثار المطر ، ومن السقف تنزل خطوط حمراء لطين جف منذ زمن ، وفي الزوايا تبرز شروخ سوداء كنما هي أنهار جارية على كف أرض رطبة ، وبين الزوايا الأنهار ، في مساحات الجدران الصفراء ، تقرأ تواريخ وذكريات وكتابات متقاطعة ، وترى رسومات لوجوه مشوهة .

صباح جميل وغائم .

صباح المدن ــ أيها الأطفال . .

صباح مواويل الشتاء . .

صباح غائم يميل الى الظلام .. يذكر بأيام الأمطار وأصوات الرعود وسقوط البيوت والهواء البارد يدخل من نافذة الفصل . يذكي مشاعر الأطفال الصغار أو يؤذى أجسادهم الضعيفة .

يدخل الأستاذ ، يسرع الى اللوح الاسود ويكتب فى الزاوية اليمنى العليا :

المادة : تربية فنية .

الموضوع : اختيارى .

وبعمق الفهم بنزق الطفولة ورغبات الصغار فى الحركة الشقية ، رأى الأستاذ أن يأتى بعصاه على مكتبه الخشبى بضربة مدوية ، وفعلها فوراً ، فاهتز نعاس الصغار ، وأيقظ الصوت فيهم من جديد تلك المشاعر المتربعة في صدورهم منذ زمن ، بالخوف .

يرفع الأستاذ عصاه من سطح الطاولة ، ويطلب من كل واحد أن يرسم في كراسه ما يشاء ، وأن يستخدم من الألوان ما يشاء وانه أخيرا لا يريد أن يسمع صوتا .

ثم انه رمى جسده على كرسيه .. وأسبل جفنه على نومة صريحة .

كان الهواء البارد القادم من النافذة يلفح وجهه ليبدو السيد مدرس المادة أكثر قدرة على الاحساس بلذة الاسترخاء والشعور بها بعمق ، يأتى التيار سريعا ،

يطعن وجهه وكامل جسده فينام ، بينما تراءد كل الأطفال رغبة ليست أقل من رغبة أستاذهم في أن يغمضوا أجفانهم الصغيرة متمتعين بهذا التيار البارد ومستريحين من تعب الحارة والركض الطويل ٠

وبعد دقائق ٠٠

راح الفصل بكامل نجومه في نومة جميلة ، ما عدا طفل صغير مازالت عيونه اللامعة تبحلق في المكان بتوجس مريب ٠

خالد طفل شقى ٠٠ وفنان ، ولكنه يكره النوم ٠

ينام كل يوم أربع ساعات فقط ويقضى بقية يومه في حماس سخى يبلغ ذروته فى الصباحات المدرسية ، خالد يكره النوم ويكره أن يرى النعاس المسيطر دائما على وجوه زملائه وعلى المحيا الغامض لأستاذه وفكر في هذه اللحظة انه يتعين عليه فعل شيء ٠

نهض خالد من كرسيه بهدوء ، يختلس الخطوات الى لوح الفصل ، في مشية صغيرة ، حذرة ، وحلوة ، لا يملكها الا هو ، تناول أصبع اللون الطباشيرى الأبيض وكتب على اللوحة بخط عريض : ـ خالد طالب مجد ـ ثم التفت الى الفصل ، وعجب بفرحة غامرة ، كيف ان الجميع لم يشعروا به ، وأخذته نشوة الاحساس بالوحدة والحرية الى مالا نهاية ، التفت الى أستاذه فرأى وجها مدورا ، عيناه مسبلتان على نومة واضحة ، وعاد ثانية

الى اللوح تتلألأ عيناه ببريق الفــرحة الموصــولة التى يكتمها فى صدره منذ أحس فى البــدء ان الجــو موات ليمارس على لوح الفصل ما يشاء ، مسح ما كتبه ورسم شكلا لأستاذه النائم جواره كمــا بدت له هيئتــه المثيرة للشفقة ، وجه مدور وجسد أخذ شكل الرقم (٢) عــلى كرسى خشبى صغير مدور ، وكتب خالد أسفل الشــكل وهو يكتم ضحكة متسلطة : مدرس الفصل ٣/٥ •• ثم عاد الى كرسيه مبهورا بانجازه وهو يعقد عزمه على نقل ما رسمه الى كراسته •

(الساعة الثامنة الا ربع)

● الأستاذ يفيق بكسل على صوت جرس الحصة ، ينظر الى وجوه طلابه فلا يرى الا ظلالا وأخيلة ، فيحس انه لا يملك القدرة على تمييز وجوههم ويوقن تماما أنه أكثر تعبا مما يظن ••

يقف متثاقلا ، يلتفت الى لوح الفصل ، يتأمل الوجه المرسوم ببراءة فيخيل اليه انه رأى هذا الوجه من قبل، يعــرك حدقتيــه بيــديه ، يأمر عريف الفصــل بجمع الكراريس ويخرج مصحوبا بالغموض •

شروق البيت

لضحى البيت فى الشتاء مذاق خاص ·· ورائحة خاصة لم أشمها منذ زمن ·· صحوت هذا اليوم فعرفت كم أنا أكره المدرسة ·· وكان أبى قد أخذ لى اذنا بالراحة بعد أن طال عنادى ومرضت ·

الوقت ضحى ساطع ·· ونور يغمر البيت ·· فى وقت لم أره كثيرا وهو يرسم ملامحه المتميزة على الجدران والأشياء ·· لم أر الشمس تسقط علينا من هذا الشرق الجميل ·· فتملأ الساحة الصغيرة للبيت بهذا الضوء النورانى · كأنه الفرح يصب فى بيتنا · رأيت أن أمى مشغولة فركضت الى باب الشارع لأرى كيف تأتى شمس الصباح على شارعنا الصغير · فتحت الباب · وكما لو اننى أراه لأول مرة · بدا لى لأول وهلة انه شارع آخر لا أعرفه · وجدت ان الشمس تأتيه من الجهة الأخرى · من الشرق · أليفة · طازجة وجميلة · وأدركت بعمق الاحساس كم أنا غائب عن أشياء رائعة ولها طعم خاص ·· جلست أتأمل الشارع بفرح من

يتذكر زملاءه وهم يعانون فى المدرسة كأنهم يبكون • وامتلأ رأسى فجأة • بصورة واحدة • لمدرس العـربى عندما يتحدث يمتلىء فمه بالزبد الأصفر الذى يرشـقه فى وجوهنا كل صباح •• كانت لحيته سـوداء هائلة • وثوبه دائما اسود فيبدو لى وأنا أتخيله انه هو المدرسة نفسها • وأتذكر أيضا زميلى خالد • ذات صباح عندما كنت أطل من نافذة الفصل على ساحة المدرسـة ، فأرى البواب يجره الى الفصل ويجلسه بجانبى وهـو يبـكى بوجه أحمر خجول •

كنت أتأمل الشارع بعمق • واذا حـركة النسـاء كبيرة فى هذا الوقت من اليوم ، يتبادلن مواد الطبخ وأنواع الأقمشة ويتحدثن كثيرا •• لأول مرة أسـمع أصوات نساء جارتنا بهذا الشكل الواضح ••

امتلأت باحساس أن الصباح دائما لنساء الحارات •• بينما المساء لرجالها وطلاب المدارس • وكنت أيضا أرى الأطفال الصغار • الذين لم يعرفوا المدرسة بعد • يلعبون بالأتربة جوار أبواب بيوتهم • وبعد وقت عدت الى البيت بنشوة غريبة • فقد كنت أتمنى أن يطول هذا الضحى الجميل • أكبر قدر ممـكن لـكى يستمر هـذا الاحسـاس معى بمعنى الحيـاة • وأعيش متمتعـا به •• شربت الشـاى مـع أمى ومـع جاراتهـا • ثم استلقيت عـلى ظهـرى بينهن أتأمل فتحـة سـقف بيتنـا • وأرصد حركة شمس الشرق عـلى جـدرانه

بدهشة بالغة وفرح غامر . وكانت جارات أمى يلاطفننى بحركات مجاملة مضحكة . وكنت أكتفى بأن أنظر فى وجوههن بكره . وبعضهن يسألن عن مدرستى فأصمت مملوءا بالرغبة أن يعجلن بالخروج . أغمض حدقتى وأتذكر بحزن تعاقب حصص المدرسة وثقلها . وكنت نصف نائم عندما شعرت بحركة النساء . ثم تعود أمى الى جانبى ، تعبث بأصابعها الرقيقة فى شعر رأسى . وكنت أحس بكفها ثقيلة وناعمة . ودافئة تحت شمس الشتاء . فأستمتع بلذة قوية لم أستطع معها فهم ما كانت تحدثنى عنه . حتى سألتنى بمفاجأة وصوت مرتفع قليلا : هل فهمت ؟ رفعت عينى الى وجهها وأنا لا أعرف عن ماذا كانت تتحدث .. قلت لها : نعم . وسألتنى ماذا ستقول لأبيك بعد أن يأتى ؟ فسكت .. فقالت :

سوف تقول له انك تحب المدرسة وانك سوف تعود اليها .. فهززت رأسى وأنا أخفى رفضا صارما . وكنت أفكر كثيرا اننى أخاف من أبى . وركضت مذعورا كفأر الى غرفة قصية مهملة . كنت أحفظ بها أشيائى وأنام فى احدى زواياها . بقيت ساعة فى الغرفة الصغيرة لا أعرف ماذا أعمل .. كنت فقط أرسم خطوطا متشابكة ومتقاطعة فى دفتر الكشكول . خطوطا ليس لها دليل أو غاية . أخط فى ورقة وأمزقها . حتى أحاطت بى الأوراق المشوهة من كل جانب وكنت أشعر برغبة فى البكاء . نظرت الى الأوراق المكومة حولى فى

ظلمة الغرفة . والى الشعاع الشمسى الذى يطل على من ثقب صغير في نافذة الغرفة ، ولا أدرى لماذا شعرت اننى لا أكره المدرسة فقط . بل اننى أكره البيت أيضا بشكل غامض .

تلك القصة القصيرة

(أ) سرير أبيض مستطيل • بمحاذاة جدار ساخن، رجل يحتل جانبا من السرير • يستند على لوح أحمر • اللوح يستند على جدار ساخن • كان جسد الرجل يأخذ شكلا مائلا •• وقف نصفه الأعلى بينما تتمدد أطرافه في مساحة السرير ببذخ سافر •

رأس منحن •• وعينـان تسقطان عـلى حـروف متوهجة في كتاب •

(ب) ••• المرأة الجميلة • التى كانت فزعة جـدا سمعت صوتا صارخا في الخارج • فتكومت في احـدى الزوايا • فتح الرجل باب الغرفة • وظل يقترب منهـا في خطوات بطيئة مترنحة وهائمة • وبحدقتين حمراوين وكان لون وجهه يميـل الى الزرقة • كان يقترب وهي تلتصق أكثر بالجـدار • يقترب وهي تضغط جسـدها المرتعش على الجـدار النـاعم • يقترب فيتعلق رأسها الصـغير في فضـاء موحش يصيبها بما يشـبه الدوار

فلا تستطيع أن ترى هذا الرجل ـ الشبح ـ ولا ترى الغرفة ولا تسمع خطوات الذى يقترب منها لتلامس كفه رأسها بصفعة صارخة فتستيقظ الطفلة النائمة في داخلها منذ زمن وتبدأ من جديد فى الهرب متمسحة بالجدار تمشي في خطو متباطيء وعيناها الزائغتان لا تفارق وجه الرجل الذى يسير خلفها • وبدأ يشعر باستسلامها • تقف المرأة اذ لامست أصابع يدها مقبض الباب • تضغطه بقوة ولا يتحرك تتوقف تماما • تسند ظهرها الى الباب • تبكى بينما يهل عرق غزير على خديها وشفتيها وعنقهاوصدرها الناهضلتوقن تماما انها وقعت في الفخ • الذى لم تحسب له حسابا • عندما قرأ والدها في ذلك الوقت بوجه فرح • آيات الثناء على رأسها • لرجل بهى الطلعة تقى تملأ وجهه لحية ورهة •

توقفت تماما • وهى ترى صورة كان عليها الرجل قبل أن تعرفه وصورة أخرى جديدة لرجل معتوه يريد أن يبتلعها بكامل خوفها • واذ تنهض المرأة الأخرى فى داخلها وهي متجمدة تحت الباب تحاول أن تقف وأن تنسى عرقها ودموعهاورعشتها وأن تقترب منه ثم تبتسم له وتقول : لك ما تشاء • • و • • في آخر الليل • ترى نفسها وقد نهضت من فراش الحب لتجدل حبلا فى يديها • ثم تنظر الى الرجل الراقد فى بذخ مجنون • • والمرأة الجميلة نهضت من داخلها • تضحك بجنون • • بينماتصدح فى الغرفة رائحة احتفالية مجنونة لليل غامض •

(جـ) سرير أبيض مستطيل بمحاذاة جدار ســاخن .. رجل يحتل جانبا من السرير يقرأ قصة .. وامرأة تتقلب الى جانبه فى متعة واضحة . بينما الرجل الآخر فى داخله يحاول أن يفصح عن نفسه . !!

فوزان يقرأ الشوارع ليلا ..

ـ ١ ـ

« قلت ذلك من قبل .. قلت انها ستعود » .. حدق في الوجه الشاحب الجميل .. ظل يحدق مبهورا وكأنه تحول الى أحداق .. « هــل سمعت الغنــاء وعادت ؟ » وأزاح فوزان غطاءه .. نهض فكشف عن جسد ناحل أصفر وبانت بقعة دم متيبسة عــلى احــدى ركبتيه . والجرح ينزف ببطء شديد . مشى اليها مادا ذراعيــه الى الأمام .. تعثر في جسد راقد .. مشى حتى اعترض كفيه جسم لامع صلب .. تحسسه .. التصــق به .. التصق به أكثر ورفع ذراعيه الى أعلا .. ألصق شفتيه .. طبع قبلة طويلة على جدار بارد . وأفاق .

●

لكنه لم يتم ..

... بدأ يحسب لادراك الشاب الذي أمامه ، وهو يرى شابا قديما ينطلق فجأة من أغوار سحيقة في داخله .. أيقن انه لا ضرورة لتبرير أى شيء . ظـــل فقط يتأمل وجه الشاب المترع بالحماس .. ويـرى وجهـا قديما له فيه . وهو يحسب مرة أخرى انه أدرك معنى صمته ، ولكنه رأى فى عيني الشاب عتبـا عميقا .. عتبا بريئا تزخر به هذه الاعين المتوثبة .

أراد الشاب أن يتحـدث . قال كـلاما كثيرا .. الأستاذ يقاطعه ، ودائما كلمات من نوع : ليس كذلك بالضبط .. لا تكن مبالغا ..

لم يستطع الشاب أن يستمر . بدأت خطواته تثقل أمام ردود مدير الفرع . صغرت خطواته وهو يرقب خطوات أستاذه تتجاوزه . مكتفيا بصورة رسـمها فى رأســه لأعين رآها تلمع فى وجه الأستاذ وقد انطلقت بسرعة من داخله .. ربما دون أن يدرى بينما غاصت بقية كلمات الـرجلين فى أعماق ملتهبـة مشـلولة .. لا تستطيع البوح .

.. رأيت سماء سوداء تتلألأ فيها نجوم وتخفت نجوم .. لا غالب في منتصف الليل ولا مغلوب .. ركبت سيارتي الصفراء .. هذا هو الاسود الذى رغم السنين لم اعرفه ولم يعرفني .. هذا الاسود الذى كلما اقتربت منه يبتعد .. له عينان غامضتان .. وهاقد عاد دوار الرأس ..

اسقيني يا أم المصدور ماء ليل صاف .. بالامس اذا أصاب الرأس الدوار أنام .. واذا أحزن أنام .. واذا افرح يرقص في الحلق الكلام .. ويخرج غنـاء للوقت ، واليوم اذا أصاب الرأس الدوار أدور .. واذا احزن أدور .. واذا أفرح يجف في الحلق الكلام .

لا . يمينا لست أبكي . وليس مايقطر مني دموعا ، هذا صوت مغن مصدور صار في الوحدة برميل قمامة .. تلك قطرات طل من سحابة المدينة النعامة .

رأى اطيافا تومىء على الطريق .. قلت : أهـلا يالوجوه الجميلة .. ياللناس الذين يعيشون منتصف الليل .. ولم لا تركبون ونحن ندور .

سقط احدهم جوار البـاب فحمله اصـدقاؤه .. اقفلوا الأبواب فركبت الطريق .. تزاحموا يتضاحكون .. وكل يعاقر شيئا في يده .. ما اجمـل هذا الاسود الحبيب .. هذا الذى كلما اقتربت منه يبتعد .. هذا الذى لا ينتهي .. وجدتني أقود بانتشاء .. هذا هـو العيـد ــ فاكليـل زهور على قبر الحبيبة .. ومرثية

لحيـــاة لم تر شمسا ــ ولا تتدحرج كراتها أمام ربيع ،
قلت أيتها الحبيبة ، اهدئى يا نفس وتخثر يا دم وتحجر
ايها القلب الذى ينضح ماؤه أحمر ٠ فأنا مملوك لهــذا
الوقت ٠

٠٠ يا للناس الذين يعيشــون منتصف الليــل ٠٠
وجوه فرحة مستبشرة ٠٠ وجوه باشة مستبشرة ٠٠ وأنا
فرح أضحك ٠٠ آخذ من أيديهم اللامعة البيضاء وأقدح ٠٠

أقدح وأضحك ٠٠ وأدخن معهم سيجارا عجيبا ٠٠
حتى وجدت الرأس يكاد ينفلق ٠٠ نادمتهم حتى سمعت
صدى صوت ضربة على ظهــرى ــ انت تســير فى كــل
الخطوط ٠٠ يا أخ ٠

٠٠ وانتبهت اذ فتحت أحداقى ٠٠ كمــا لو كنت
غائبا ٠٠ التفت اليهم ٠٠ أهلا ٠٠ شــباب يمرح ٠٠
وسفر دائم ٠٠ (الجامع الكبير : صوت الشيخ) ونسيت
اننى لم أر القمر ٠٠ يا لهذا الليــل الأظلم ٠٠ وهــذه
الوجوه الجميلة ، يا لهذا الكلام الذى يجف فى الحلق ٠٠
كأن الشوارع لا تصل ٠٠ شوارع سوداء بغيضة بلا ناس
٠٠ وأرصفة جامدة وأغنية تفسح شريانا مريضــا ٠٠
أحدهم يتقيأ ٠٠ بأى رأس يفيق ٠٠ كيف أقول لك وهم
فى اتساع الصدر ٠٠ هل أقول نامــوا على صدرى ٠٠
الآن استقر طائرى الفزع ٠٠ يا لهذا الفرح الراقد فى
أحداقهم ٠٠ يهدهدنى ٠٠ ويبلغنى قمة الانتشاء ٠٠

وأهيم في الشوارع هذه السوداء ٠٠ ثم صوت أحدهم يتنهد :

ـ هنا أيها الأخ ٠٠

ـ نزل اثنـان وبقي ثلاثة شيعت النازلين حتى مدخـل مظلـم قذر ٠٠ رأيتهم يصـادمون أجسـادهم ويتضاحكون ٠٠ وأنا خائف من عودة احساس الوحدة ٠٠ قال أحدهم وكان راقدا : واصل المشوار ٠٠ واصل أيها الربع ـ ٠٠ قلت فلتحيا الاهانة ٠٠ هـذا طريقي ٠٠ ظللت أدور ٠٠ أقول لك ظللت أدور وأغني ٠٠ والشباب نيام ٠٠ ظللت أدور حتى الصباح ٠٠٠ فدنوت من رصيف هادىء ٠٠ توقفت وملت بالمرتبة ٠٠ استلقيت ثم رحت في اغفاءة طويلة ٠٠ كانت الشمس حينها تنشر بعض خيوطها الصفراء ٠٠ أفقت ورأيتني وجها لثلاثة وجوه أمامي ثلاثة شبان ٠٠ قالوا كانوا نائمين في المرتبـة الخلفية ٠٠

رأيت حرسا وجـدرانا متقـاربة ٠٠ رفعت رأسي فرأيت نافذة صغيرة عالية ٠٠ التفت الى أصدقائي ٠٠ قرأت على ظهر أحدهم : (٠٠٠)

٠٠ كل الأشياء في الخارج ترسم حـولي تفاصيلها ٠٠ حتى نهار المدينة البعيد ٠٠ اثنان لم يحتفلا بعيدها ٠٠ أنا والمدينـة ٠٠ في يوم مشرق رمانا في التيـه ٠٠ في مدنه المجـدولة التي أراها تتشـكل ٠٠ وكنت أذهب باكليل الزهور الى قبرك ٠٠ وأعود بجواد يصير

جديا وأنا صرت الى ذبابة ‏·· فاسقيني يا أم المصدور ‏·· أو اقصيني عن أرجوحة هـذا المـوت الحى ، فى البيت أنفاس ‏·· وأفـواه صـغيرة بلا أثداء ‏·· وفى الدار الجديدة جسد ناحل أتعبه الترحال » ‏··

●

ـ ٣ ـ

كتب فوزان العنوان على المظروف : «مقبرة العود» ‏·· وأودعه يد جندى قال انه لا يعرف القراءة ، عاد الى ركنه ‏·· تذكر انه لم يسأل الجندى عن جرح ركبته وحذائه الضائع ‏·

رجــلان

للمكتب الحكومي الوثير طعم رائع، اذ تأتيه الأوراق وتخرج بيضاء لامعة ، الباب واسع للزائرين. وكاسات الشاي تتقاطع في اتساع الوقت. خضراء لذة للشاربين.

للوقت البارد رحابة تأخذ شكل الرتابة والأمان. وكسل مرح يدير الرؤوس ويحنيها.

وها قد عاد الى وقته من جديد يتمدد فيــه ببــذخ المترفين.

بالأمس كان يلبسه فتضيق أطرافه المشتعلة واليوم يلبسه واسعا فيرى النور والبهجة.

عاد ليقول بنزق مترف .. انه فقط بحاجة الى أن يرتاح ، غابت سموات أكثر غيما. وحضرت ســموات أخرى وخلفه يركض لقب جميــل مترع بالــكبرياء. وجد بزهو بالغ ان كل شيء أصبح أكثر جمالا. وأدرك بغبطة عميقــة ان كل ما كان يــؤرقه وما لم يحسب له حسابا هو الوقت .. السيد الكبير الذى عليك أن تقطع أوصاله. متفانيا بالعناية بنفسك ، وجسدك. وروحك

المريضة بهموم الآخرين ، وشعر انه قادر على التعايش مع واقع جديد بحماس طفل بدأ ينمو ويشتد عوده ، فأسلم نفسه لموجات عارمة من الفرح • راح يتدهور •

خلفها برقص كهل ، أثث البيت القديم ، واستلم أوراق منصبه ، مدير فرع جديد للمؤسسة الثقافية والفنية •• ثم مضى هادئا يمشي باقدام مسئول • يقطع كل دروبه بالبهجة اللذيذة التي تلطف صدره • يمكث في المكتب الباذخ ويعود الى منزله بروتينية محببة الى نفسه ، يسبح في الوقت الذي بدا له واسعا ينفقه مهروسا بالشعر والموسيقى والمرأة • يدحرج صورة وجهه وهوسه على صفحات الجرائد • والمجلات الفرحة بحضوره الكريم • ويعود الى منزله بالروتينية المعتادة المحببة ••

ظل هادئا جدا ، كما لم يعتد أصدقاؤه ، مدير مسئول يذهب الى مكتبه من أجل أن يعود فقط • مستمتعا بلذات عديدة • وكان يبدو انه لا نهاية للطريق المليء برائحة الهواء الطري • وهو يسير بجسده الكبير ، أطرافه الحمراء ضخمة تبرز من ثوبه في الحي الهادىء الذي يبدو له كما لو انه لا يحضن سوى منزله • ومكتب عمله •• خمس دقائق فقط بين البيت والعمل •

وأمام هذه الحياة الجديدة ضاع كل شيء • وصارت تستغرقه دائما نشوة قادحة ويغمره شعور مستمر بالغبطة • يأخذان كل وقته السخي وينحدران به الى

عالم من التأملات والآمال · عالم لا يكون فيه الانسان الا خليطا من الشبع والراحة · أو مزيجا من كبرياء مغرور شامخ وفرح يبتهل أن يدوم الرخاء · وترف الرأس الذى لا عمل له ·

ان كثيرا من المصادفات تحدث في أوقات غير لائقة ·

هذا ما استغرقه في ذلك المساء ، وهو يعود الى منزله متأبطا عباءة صفراء منقوشة · في الصباح هاتفه المسئول ولم يجده ·· مضى شهر على تعيينه ولم يهاتفه أحد من هؤلاء ·· انعطف الى الشارع الآخر وكانت تبدو له لا نهائية الطريق الذى رسمه وأصبح يسير الآن فيه · الأمر الذى فتح النافذة واسعة · أمام شاب كان يسير خلفه ·· أن يحدث نفسه قليلا ·· ثم يتقدم منه ويسأله بمفاجأة :

ــ هل هذا هو الشارع الذى يؤدى الى منزلكم يا أستاذ ؟

اهتزت كل صور الهدوء في نفس الرجل وهو يتوقف أمام السؤال ثم ما تكاد تمضى ثوان حتى يلتفت ينظر في وجه الشاب ثم يبتسم ·

ــ نعم عزيزى هل تريد شيئا ·· ثم يتابع طريقه ·· مضى بكل الهدوء والاتزان والألفة حتى وازى الشاب خطوته وبادره ·

ــ أرجو أن لا يكون الطريق متعبا لك ؟

رد بحماس وضحكة على وجهه ·

ـ أبدا .. أحتاج الى خمس دقائق لأصل الى المنزل قال ذلك وهو لا يدرى اذا كان يود أن ينتهى فورا الى منزله أو يستمر الشارع طويلا الى مالا نهاية .

ان خواطر مليئة بالريبة بدأت ترسم لوحات ملونة على وجهه المدور السمين فقد عرف أن الشاب أحد طلائع المسرحيين بالفرع وأحد الذين وافقوا على عدة بيانات رفعت الى المسئولين يريدون النهوض بهذا الفن «العظيم» على حد تعبيرهم، وغادرته فورا حالة الهدوء ودون أن يدرى أسرعت خطواته المرتبكة وهو يرمى الشاب بنظر مخاتل يختلسه اختلاسا . صانعا على شفتيه ابتسامات ملونة ، تقدمه الشاب قليلا فى خطوات أكثر اتزانا .. ثم تتوازى الخطوات .

قال الشاب :

ـ يبدو اننا سنتعود روتين المشوار اليومى .

ـ هل أنت قريب من هنا ؟

ـ نعم منزلنا فى نفس الحى وقريب من فرع المؤسسة التى نعمل بها .

لم يشعر الرجل باقترابه من الشاب وهو يسير ليسأله ؟

ـ هل تعمل معنا فى الفرع .

ـ تلميذكم ، قرأت لك كثيرا من قبل !! ..
وفرحة لنا جميعا بمنصبك الجديد .

وأضاف الشاب بصدق وحرارة .

ـ لدينا الكثير من المشاريع المسرحية . وهي تنتظر مباركتكم .. ثم وهو يزداد صدقا وحرارة عفويتين .

ـ لقد بالغ المدير السابق في الاساءة لأكثر أعمالنا ولم يستوعب الكثير من طموحاتنا ، .. ولم يفطن الأستاذ لبعد كلام الشاب ، والخطوات متوازية تماما .. في الطريق الذي يتمنى الشباب أن يمتد الى مالا نهاية وكان قلبه يخفق بالفرح .. اذ يكفي انه يمشي جوار الرجل ويقدم له مشاريع الشباب التي رقضت في صدورهم منذ زمن طويل .. كان الشاب يتحدث بينما خطرت في بال الرجل أشياء كثيرة راح معها يغرق في تأملات قبضت روحه بشدة وفكر مع نفسه وهو يستمع الى الشاب دون أن يعي ما يقول تماما ، وكان يرميه بنظرة جانبية : يعني أنا أصلح للفرع ، وامتلأ بخليط المشاعر المرتبكة .. لأول وهلة شعر بسعادة من نوع رائع ، ملأت صدره . لم تلبث ان صارت الى كآبة عميقة أحس معها برغبة هائلة في البكاء .. كلمات من نوع « تصلح للفرع » .. تنتظر مباركتكم لأعمالنا .. كانت كافية لارباكه وهو يتذكر ماضيه المتوثب وحاضره الرسمي البارد . رسم على وجهه ابتسامته المكتبية الصفراء ،ورد باقتضاب بعد أن استعاد نفسه : ليس كذلك بالضبط .. انما !!

لكنه لم يتم ..

... بدأ يحسب لادراك الشاب الذي أمامه ، وهو يرى شابا قديما ينطلق فجأة من أغوار سحيقة في داخله .. أيقن انه لا ضرورة لتبرير أى شيء . ظـــل فقط يتأمل وجه الشاب المترع بالحماس .. ويـرى وجهـا قديما له فيه . وهو يحسب مرة أخرى انه أدرك معنى صمته ، ولكنه رأى في عيني الشاب عتبـا عميقا .. عتبا بريئا تزخر به هذه الاعين المتوثبة .

أراد الشاب أن يتحـدث . قال كـلاما كثيرا .. الأستاذ يقاطعه ، ودائما كلمات من نوع : ليس كذلك بالضبط .. لا تكن مبالغا ..

لم يستطع الشاب أن يستمر . بدأت خطواته تثقل أمام ردود مدير الفرع . صغرت خطواته وهو يرقب خطوات أستاذه تتجاوزه . مكتفيا بصورة رســمها فى رأســه لأعين رآها تلمع فى وجه الأستاذ وقد انطلقت بسرعة من داخله .. ربما دون أن يدرى بينما غاصت بقية كلمات الـرجلين فى أعماق ملتهبـة مشـلولة .. لا تستطيع البوح .

عمود التراب ..

دار الهواء حول نفسه دورتين .. ثلاثا .. أربعا فاستيقظ التراب الراكد منذ زمن . وبدأ يلاحق موجات الهواء الصغيرة التى تدور حول نفسها ، اتسعت الدائرة ، فارتفع التراب عمودا أحمر . أخذ مكانا واسعا فى الفضاء الفسيح على حدود المدينة مدفوعا بريح أكثر يأسا .. صارمة .. بدأت تلوب كأنها امرأة تبحث عن حب مفقود .

الهواء يصارع نفسه فى أعماق المدينة .. يهب عليها من كل الجهات كأنه يريد ابتلاعها بصفير حاد .. غاضب وصارم ـ والتراب بغزارة يتساقط على الرءوس المبهورة .. يغطى أسطح المنازل والمساجد .. يغمر فناء المدينة بالعتمة ، ويتحرك إلى الضفاف الأخرى .. يعبر الشوارع والأرصفة ، الحارات وجوه الناس ، يغمر الجدران .. الأشجار .. ومقابر الأجداد .. يغمر كل شيء مدفوعا برغبة ما ، غاضبة وكئيبة فى جو رهيب .

الرجال والنساء والشيوخ يركضون الى مساكنهم مثل فئران مذعورة • يغلقون الأبواب والنوافذ بأصوات تتوحد في صندوق الذعر : غضب عارم حل بالمدينة الطيبة •

من الداخل تأتي أصوات الشيوخ غامضة •• الأصوات الأكثر ارتفاعا ويأسا • يصرخون فى ضجيج الأشياء حولهم •• للسماء سطوتها وللريح جبروتها وللأرواح حبورها وخوفها •• يعبئون الكئوس المكسورة بالتعاويذ والبكاء •• يضيفون خوفا على خوف •

الأطفال ينسلون من مساكن آبائهم خفية •• يركضون في الحارات • كأنهم يحتفلون بضيف المدينة • في مهرجان بهجة وشرود وخوف لذيذ •• يرقصون في الحارات للذى دخل مدينتهم معتلىء الفم بالكلام ، يركضون في الشوارع وتحت الجدران •• يزفون وقتهم الى حرارة أخرى مكتنزة •• عذبة وجريئة في عرس كأنه موصول منذ آلاف السنين •

يزفون الغبار العالق بثيابهم وشعر رؤوسهم الى جدران أعمارهم المدهونة بفرح أصابعهم الصغيرة • يقرأون أسماءهم وتواريخ ميلادهم ساقطة تحت الجدران أكواما سوداء •

الريح تتجه جنوبا تقود تراب المدينة •• وتزيح بعضا منه عن قرص الشمس •• وتبدو في خروجها المهيب كما لو أنها عروس من النار •

الأطفال ينفضون التراب عن شعر رؤوسهم وثيابهم وأصواتهم القديمة · يرشون الماء على التراب الذى بدأ في الركود ·· يعجنون الطين من جديد · يتذكرون أسماءهم القديمة وتواريخ ميلادهم ·· يرسمونها على الجدران مرة أخرى ·· الجدران التي صارت أكثر بريقا تحت شمس ساطعة وجديدة ·· يمرون بأصابعهم على الجدران المدهونة بأحلامهم الطفلة ·· يغنون بصوت واحد للمدينة ·· للشمس ·· للريح ·· وقبل ذلك يقولون للناس :

اخرجوا من منازلكم ، لأن الريح لم تعد ريح ·

الجزء الثاني :

نصوص صحراوية :

- وظيفـــة
- فصـل غامض
- خـوف
- راس
- موسيقى الاجيال
- مجرد نداء
- الرحيق

وظيفـة

● في الصباح ، بعـد أن استيقظت كنت أشـعر كالعادة ، أنني في حاجة الى فعل شيء ما ، كنت غامضا حتى التعب ، بالاحرى ، تائها ، وكنت على يقين باهظ بأن أية خطوة خارج البيت للبحث عن وظيفة هي خطوة بائسة وتعسة ، ومحض عبث ، لكنني لست بليدا لأنني أبارك ساعاتي ، وأتلو عليها أغنياتي ، نهضت أنفض راحتي من سبات طويل ، خلعت ملابسي ودخلت الحمـام مكثت في مائه الدافيء ، ثم عدت الى غرفتي ، صنعت كأسا من الشاي ، وضعت شريطا في الجهاز الصغير ، وبدأت في عمل أشياء كثيرة ،

نظفت غرفتي وراجعت أوراقا قديمة ،

لكنه يتعذر على الا أكون متعبا رغم اني أسـتطيع اقناع نفسي بجدوى أى عمل أقوم به ، وكنت أهجس بالوظيفة التي صارت مثل الحلم التعس ،

كتبت وقرأت وأشعلت نار التاريخ • للغة المخنوقة الأنفاس• ذررت رمادالأشياء • فالتمعت شهبا وأقمارا- بينما تصدح موسيقى • وكنت أبدو كما لو انني أريده أن أجلد نفسي بالتعب • عقابا ذاتيا موصولا صحيحا وعميقا حتى النسيان •

كانت ايقاعات الموسيقى ترتفع عذبة وغامضة • ذراعاى تتركان كل شيء • تتمـايلان ببطء • صـوتى بنبرة واهنة يرتفع قليلا مع ايقاعات الموسيقى • رفعت الصوت متجاوبا مع هذه الحالة الجديدة • أغلقت باب الغرفة بتوجس • أغلقت النـافذة • وسرعان ما بدا جسدى وأطرافى • كما لو انها ترقص • رأيت ذراعى تتمايلان • تعانقان فضاء الغرفة بنزق طولى • وأطراف أقدامي فى حركات دائرية موصولة ••

وكنت كلما أتم دورة • كلما أبدأ في أخرى• مقنعا نفسي أنه ربما • حان الوقت •• بعد هذا الانتظار • للرقص • وارتفعت حدة كل شيء •

بدأ جسدي ينزف العرق • وبدأت أشـعر بنشـوة الفعل • أذرع فراغات الغـرفة • وأنا أتمايل بشـكل جاد • وصريح • مع ايقاعات موسيقية غامضة وأصابع قدمي تلامس بخفة ورشاقة أرضية الغرفة • وجسـدى يتثنى بفرح جاد •

شعرت أنني أريد أن أعيش هكذا · متمتعا بهـذا الوقت ببذخ شديد · حتى سمعت صوتا فى الخارج · ولكننى · فى ذروة المجد · أتظاهر كما لو أنى لا أسمع سوى الموسيقى ·

الموسيقى فقط ·

فصل غامض

عدت الى البيت فى الثالثة ظهرا لأجده كالعادة فى انتظارى ، صامتا ، بوقفة مهيبة ، وضعت الصحف جانبا ولم أجلس لآكل ، مضيت الى غرفتى بسرعة ، لم أخلع ملابسى ، ولم أدخل الحمام ، اتجهت رأسا الى السرير ، رميت جسدى وفتحت جهاز التسجيل ، كما لم أكن معتادا • وآثرت هذا اليوم أن أنام على ظهرى • وياالله ، أية راحة تكشف عنها هذه الطريقة فى النوم ؟!

كنت أحدق فى سقف الغرفة ، كأنى أراه لأول مرة ، كان متشققا ، وجيره الأبيض مقشورا من أثر المطر ، وفى الركن الأيسر للسقف آثار حذاء طبع نفسه بقوة ، وعندما نظرت الى أرضية الغرفة ، شملنى دوار عظيم ، حتى ان سلطان النوم ، داهمنى فجأة ، على غير عادة • بشكل ممتع ، ولذيذ ، فهل كنت بحاجة الى مثل هذا التغيير كى أنام بسهولة ؟!

خوف

قلت لك اننى عندما رأيتك أمامه مرتبكا • شعرت بالخيبة التى دفنتنى فى الحزن البالغ ، وقلت لك انك بدوت أمامه كخائف لا يقوى على الكلام ، كانت الكلمات تخرج من فمك بأحرف مخنوقة ، متقطعة ، ومرتجفة ، كأنها تبكي ، وكنت أرى وجهك أصفر ، وجسدك يهتز بصراحة واضحة •

كنت تحاول أن تحنى رأسك وأنت تتحدث أمامه ، أو وأنت تخرج منديلك الأبيض بتوتر لتمسح عرق جبينك ، وكنت تدافع عن نفسك كثيرا ، فى غير ما داع، فى وقت كنت تحتاج فيه الى سؤال صغير جدا :

لماذا فعلوا بك هكذا !؟

قبل أن تدخل ، كان الرجل يسألنى بأى وجه سوف يقابلك ، وكان متوترا •

بعد أن خرجت رأيته يضحك بعمق شديد •• بعمق •

رأس

● .. صاعدا درجات السلم الطيني .. حتى أصل الى النقطة الأكثر ارتفاعا في بيتي .. أتأمل بيوت الحارة واحدا فواحدا وعمارات المدينة واحدة فواحدة .. وأختزل تاريخ المدينة فى صورة واسعة .. من هذه الجدران العالية ، البيوت الطينية صفراء .. هادئة كلوحات تراثية موصولة .. والمنائر تتسامق ساطعة .. وكنت فى ارتفاع بحيث أن نخبة من البيوت تبدو بارزة قليلا .. لاصطاد النظر الى رأس بشرى من البعد . كان ثابتا بدون حركة . وكان يبدو لى من بعيد . شكلا جميلا . نقطة صفراء لانسان .. وكما لو أنه يرانى . مثلما أراه . نقطة بعيدة . كنت أتأمله . حتى رفعت يدى ملوحا له . ولكنى لم أجد استجابة واضحة . فقط تحرك الرأس حركة صغيرة . ثم عاد الى سكونه .. فرفعت يدى ملوحا مرة أخرى . ولم أجد ردا . وبدا لى الرأس أكثر جمودا كصنم . كأنه يريد أن يتفرج فقط . دون أن يكون بحاجة الى مد جسور علاقة مع أحد . حتى

رأيته . بعد وقت . يتحرك ويميل برأسه . فلوحت له بيدى . ارتفع قليلا . فلمحته لأول مرة واضحا . بثوب أحمر زاه . كأنه الفرح نفسه .. يرقص على جدران بيوتنا . ويطل علينا من علو . يليق به .

موسيقى الأجيال

● السيدة الصغيرة تصل الى البيت ·· تفتح الباب ·· تدخل ·· وتتركه مواربا ·· ترمى حقيبتها المدرسية · تبدل ملابسها · تدخل المطبخ · تقرب جهاز التسجيل · تضغط زر التشغيل وتبدأ العمل · على أنغام عالية لموسيقى الأجواء ·

السيد يصل الى البيت ·· يغلق الباب الموارب · يرمى صحف اليوم · يلقى التحية · يلقى سلة الفاكهة · ويبدل ملابسه · يدخل المطبخ بحماسة طفل · يرفع صوت جهاز التسجيل قليلا · يغنى · تصدح هى بالصوت الناعم · يرفعان صوتيهما لتعلو نغماتهما على موسيقى الأجواء · يغنيان بفرح صغير · وتعب لذيذ · في وقت لذيذ · يوزعان الضحكات على النوافذ والجدران · يلوحان للوقت بالبشارة · وللتعب بالغناء ·· وهما الجديدان على الوقت · يقتضان تخوم المسافات الحزينة ·

السيدة والسيد يأكلان . يتحدثان . ثم يغسلان الأطباق . السيد ينظر في وجه السيدة الصغيرة . يقرأ التعبَ الراقد على جبينهـا . يقرأ موسـيقى الاجـواء الصيفية . ويشم حرارة أنفاسـها . أسئلة حزنهـا . أسرار وقتها . طفلة ترفع رأسها الصغير . تتحدث . يفتش في كلماتها . لا شيء سوى رجع التعب . هـكذا يتخلق في عينيها . نهر أسئلة كامنة . وهي في الوقت ضباب قاتم يملأ وقته الدائخ .

السيد يتناول صحفه اليومية ..

السيدة تتناول كتبها المدرسية ..

يصعدان الدرج ..

بينما موسيقى المكان تصدح لحنا عربيا .

مجـــرد نداء

وقت ثقيل .. وحزن ، ووجه شاحب ، قديم، وشفاه مشققة ، وشعر أسود غزير ، يابس يسقط بعضه على الجبين ، وأرق منتظر ، أفلت منه الى فرحي الجميل ، أترك وجهي ، والمرآة وأخرج ، أدخن وأمشي ، أقذف بجسدي عاليا ، أقذف به في الهواء ، تتلقفه الأرض ، فيهدل بالحزن في حضنها المترب ، تضمني الأرض ، ويعاودني المشي ، أمشي المسافات الطويلة ، أدور ، وأطلق فرس الكلام صهيلا ، وبكاء طويلا ، وغناء ، أنزعه من صدري فيجيء الصوت هزيلا ، يضمه الهواء ، وأضحك . أضحك اذ أرى مالا يرى . القط الاسود الثقيل يتمطى ، وأرى كلابا ، وذرات غبار تسقطها أضواء الجدران وكهل نصف عار يجمع علبا فارغة ، ومزق الأوراق يرقصها الهواء بلا شراب ، قراطيس تركض خلفي وأمامي وفوقي تطير دونما أسباب . كل الأشياء تتقافز .

ما من شيء يعبس في وجهي ، أمد يدى ، لم تصافحا سوى الهواء ، الظلام · ميت بلا ضريح ، والهواء لحن بدائي ، يسكت في لساني الحروف ، الهـواء لجام اذ تهمس ورقة حلم في حلقي ·· آه لو تهدل حمامة ، أو ينهق حمار ، أو يموء ذاك القط السمين ·· وقلت في نفسي علام الحزن والهدوء الليلى كؤوس تتوالى ، عـلى هذا الايقاع الطبيعي الحلو، ورأيت عرافة الليل تدور، تضيء النور وتقرأ وجهي ·· وأنا قد خـدرت قـدمي واشتعل الدم السـاخن في جسـدى ، ضـوء باهر في وجهي ، قلت هذا بيتي ، كانت أحداقها لامعة كنصل ، تشممت جسـدى ، وامتحنت عقلي ، كانت الأرض في عيني تضيق والسماء ترتفع لتكون قمرا صغيرا، شاحبا، ارتفع الصوت يزهو بنوره وقامته ، وشعر لحيته المجعد، وأنا فاقد صوتي ، أستعيد ذاكرة المسـاء ، قلت أذكر قطا أسود سمينا ، وكهلا يدور ، وكـلابا ، وقراطيس ترقص ·· وهواء وقلت أذكر ·· فعادت عرافة الليل، اشرأبت مرة أخرى ، والتهب صوتها في رماد صوتي ، قادتني الى بوابة ، ثم الى باب ، ثم الى ركن اسود صغير، ورأيت كفا تهوى على وجهي ، وجدتني أصادم الجدران، وألف أصابع يدى على عيني ·· ثم رأيتني أتمـدد في ذاك الركن الاسود بحزن آخر ·

وقت ثقيل ·· وحزن ، ووجـه شـاحب ، قديم ، وشفاه مشققة ، وشعر أسـود غزير ، يابس ، يسقط

بعضه على الجبين • وهذا صباح حل بلا نوم ، انخرطت في بكاء عظيم ، حتى دخل قائد العرافة ، فانخرطت في بكاء آخر ثم انى استعدت صوتي وكان الهياج •

الـرحيق

كنت متعبا جدا ، أقاوم رغبة متسلطة فى النوم ، نهضت بنصف جسدى الأعلى ٠٠ وقلت لها كما لو أننى أغنى ٠٠ أو أتم حكاية :

أستطيع أن أضغط زرا صغيرا لترى بعينيك الجميلتين ــ اللتين سيأكلهما الدود يوما ــ كيف تستحيل هذه الغرفة الصغيرة الى بهو ، ولكن فيما لو حدث ان تبدل شىء فى تلك اللحظة التى انصببت فيها صبا من جسد الى جسد ٠ لو حدث أيما شىء ٠ لغني عن القول ٠ أن يظهر انسان سواى ، وهذا لا يعني شيئا قليل الأهمية ، اذ أن هذا الخاطر الذى ملأ رأسي مازال يحفر روحى أكثر للرحيق ٠

ثم ألا ترين ٠٠ ؟

هذا الطير مثلا ، انه فرح ببيته ، ولكن أخرجيه وضعى مكانه قطا ، سوف لن يكون بميسورنا أن ننام

بهدوء الطيور ·· يا حلوتي ·· وأنا كونتني الحرية · مثلما كون الاضطهاد · هذا الطير ·

وقد مررت بفترة سوداء خشنة ، لا أستطيع استدعاءها أمام أصدقائي الجدد وهم ـ كما لا يغيب عنك ـ نشأوا في الرحيق · ففي تلك الفترة الزمنية البعيدة لعنت روائح الأجساد الفقيرة وكنت لا مباليا عنيدا وكان خوفي من الجسد قد بدأ يكبر ·· هذا الجسد المريض بالغرائز المتعفنة المكبوتة · كانت متعفنة · وتصدر منها روائح كريهة ، وأثقل لحمي على الروح البائسة وكنت أرفض أن أكون كلبا يطوف المزابل في الليل ··

ولهذا دخلت ·

وليس بالأمر الهين أن يدخل انسان مثلي نبت في حظيرة حيوانات وأقول لك : ضحكت اذا دخلت الحياة الجديدة ·· قرأت للعزيز « فرويد » كي أحلل تفسيات الأصدقاء الجدد وأعرف مرادها بايماءة ، أما ذلك الرجل الذي منحني الضوء الأخضر للدخول فلم يكن غير انسان حقير ومغفل ·· وكنت أطبع له كروت المعايدة مشيدا بذكائه النادر وحنكته العظيمة وخلقه الرفيع ولم أكن لأفصح عن تلك الأحلام الكابوسية التي كنت أراه فيها على هيئة عقرب سوداء ·· وهكذا بلغت ، أول درجات السلم ، ورحت خفية أتسلل وأصعد الواحدة تلو الاخرى

حتى رأيت وجهي لامعا من خلال شاشة التليفزيون يلوح بكفيه وبابتسامته التى صارت مألوفة ·

هكذا وصلت ·

آه يا حلوتي ·· كنت أبحث عن حظى فى الحظائر ولم أدر أنه هناك ·

لقد آن أن أمشي تحت الأرصفة فلا أقرأ لافتاتها ، وأن أحفر بأظافرى فى هذا الحائط الطيني الذى كنت أراه صخرا ، لقد آن أن أحلب هذه البقرة الحمقاء التى حلبت وجودى · آن ·· أن ننام بهدوء الطيور ·

يا حلوتي ·

كنت متعبا جدا ·· أقاوم رغبة متسلطة في النوم ·· عدت برأسى الى الخلف مرة أخرى ·· وكنت أشعر كما لو أنني أستنشق السعادة ·· وكنت أراها بجانبى تحدق فى السقف بانبهار ·

فهرس

الموضـــوع **الصفحة**

● **الجزء الأول :**

● **الجزء الثاني : نصوص صحراوية**

صدر من هذه السلسلة :

● الرجل المناسب	(قصص)	فتحي غانم	١
● دموع رجل تائه	(قصص)	عبد الرحمن فهمي	٢
● الجميع يربحون الجائزة	(قصص)	ابو المعاطي ابو النجا	٣
● بالأمس حلمت بك	(قصص)	بهاء طاهر	٤
● رباعيات	(قصص)	شكري عياد	٥
● من قتل الطفل	(مسرحيتان)	عبد الغفار مكاوى	٦
● منتصف ليل الغربة	(قصص)	جمال الغيطاني	٧
● رشق السكين	(أقاصيص)	محمد المخزنجي	٨
● وعلى الأرض السلام	(قصص)	فاروق خورشيد	٩
● الأشواق والأسى	(رواية)	عبد الحكيم قاسم	١٠
● والبحر ليس بملآن	(رواية)	جميل عطية ابراهيم	١١
● ان تنحدر الشمس	(قصص)	سحر توفيق	١٢
● لا تسقني وحدى	(رواية)	سعد مكاوى	١٣
● كهف الأخيار	(قصص)	شكري عياد	١٤
● محطة السكة الحديد	(قصص)	ادوار الخراط	١٥
● حصار القلعة	(م. شعرية)	محمد ابراهيم ابو سنة	١٦
● اربعة فصول شتاء	(قصص)	محفوظ عبد الرحمن	١٧
● سارق الكحل	(قصص)	يحيى حقي	١٨
● انا الملك جئت	(قصص)	بهاء طاهر	١٩
● تاريخ حياة صنم	(قصص)	عبد الرحمن فهمي	٢٠
● الوداع : تاج من الخشب	(قصص)	عبده جبير	٢١
● النجوم العالية	(أقاصيص)	محمود الورداني	٢٢
● قلوب خالية	(رواية)	عبد الرحمن الشرقاوى	٢٣
● الشجرة والعصافير	(قصص)	ابراهيم عبد المجيد	٢٤
● عطشان يا صبايا	(قصص)	سليمان فياض	٢٥
● طرف من خبر الآخرة	(رواية)	عبد الحكيم قاسم	٢٦
● طعم القرنفل	(قصص)	جار النبي الحلو	٢٧
● السحر الأسود	(رواية)	شفيق مقار	٢٨

● تسلق الجدار الأملس	(رواية)	حسني عبد الفضيل	٢٩
● احتضار قط عجوز	(قصص)	محمد المنسي قنديل	٣٠
● رحلة الليل	(مسرحية)	عبد الله خيرت	٣١
● حبات النفتالين	(قصص)	عالية ممدوح	٣٢
● أرض لا تنبت الزهور	(قصص)	محمود دياب	٣٣
● الخسـوف	(قصص)	عبد الفتاح الجمل	٣٤
● ما أجملنا	(رواية)	محفوظ عبد الرحمن	٣٥
● لم يعد الضحك ممكنا	(مسرحيتان)	يوسف القعيد	٣٦
● حبال السلم	(قصص)	فاروق خورشيد	٣٧
● الحنان الصيفي	(قصص)	احمد الشيخ	٣٨
● يوسف والرداء	(قصص)	ابراهيم أصلان	٣٩
● مسألة لبنى	(مسرحية)	يحيى عبد الله	٤٠
● عكس الريح	(قصص)	يوسف ابو رية	٤١
● هـل	(قصص)	محمد جبريل	٤٢
● عفاريت الجبالة	(مسرحية)	نعمان عاشور	٤٣
● الطائر والنهر	(قصص)	عائد خصباك	٤٤
● زهر الليمون	(قصص)	علاء الديب	٤٥
● الطواحين	(قصص)	امين ريان	٤٦
● رائحة البحر	(رواية)	سامي فريد	٤٧
● حضرة صاحب الدولة	(مسرحية)	عاطف الغمري	٤٨
● أسباب للكي بالنار	(قصص)	خيري شلبي	٤٩
● السين والطلسم	(قصص شعرى)	بدر الديب	٥٠
● الملاك الأبيض	(قصص)	محمد زفزاف	٥١
● أيام الانسان السبعة	(رواية)	عبد الحكيم قاسم	٥٢
● هذا ما كان	(قصص)	محمد البساطي	٥٣
● الغرف الأخرى	(رواية)	جبرا ابراهيم جبرا	٥٤
● أغنية حب حزينة	(قصص)	طلعت فهمي	٥٥
● انكسار الحروف	(قصص)	ربيع الصبروت	٥٦
● أخبار الدراويش	(رواية)	عبد الوهاب الأسواني	٥٧
● النيل والغضب	(قصص)	فتحي عبد الفتاح	٥٨
● الشيء	(رواية)	نهاد شريف	٥٩

● نورسان ايفان	(قصص)	نعيم عطية	٦٠
● الغيوم ومنابت الشجر	(رواية)	عبد العزيز مشرى	٦١
● الصخرة والطوف	(مسرحيات)	فؤاد التكرلى	٦٢
● ستر العورة	(قصص)	سعيد الكفراوى	٦٣
● الوجه الآخر للقمر	(قصص)	محمد سليمان	٦٤
● سفر	(قصص)	محمد المخزنجى	٦٥
● رجال من الرف العالى	(قصص)	سليمان الشطى	٦٦
● رايت النخل	(قصص)	رضوى عاشور	٦٧
● ليلة حب مجنونة	قصص)	ليل العثمان	٦٨
● المستحيل والقيمة	(تجربة فى الديالكتيك)	بدر الديب	٦٩
● النعيم العائم	(مسرحية)	توفيق الحكيم	٧٠
● شمس بيضاء	(قصص)	محمد عبد السلام العمرى	٧١
● ديوان الملحقات	(قصص)	عبد الحكيم قاسم	٧٢
● شتاء داخلى	(قصص)	احمد زغلول الشيطى	٧٣
● حكاية شارعنا	(رواية)	وجيه الشربتلى	٧٤
● اذعان صغير	(قصص)	فهد العتيق	٧٥

العدد القادم :

● العشق أوله القرى	(قصص)	ابراهيم فهمى

في اعدادنا القادمة

● منحنى النهر	(قصص)	محمد البساطى
● اغلاق النوافذ	(قصص)	ابراهيم عبد المجيد
● البحر الرمادى	(قصص)	احمد الشيخ
● وش الفجر	(قصص)	يوسف أبو رية
● احاديث جانبية	(قصص)	جميل عطية ابراهيم
● شدو البلابل والكبرياء	(قصص)	فؤاد قنديل
● مؤامرة البحر	(قصص)	اسماعيل العادلى
● ساعات الكبرياء	(قصص)	ادوار الخراط
● تلك الأشياء	(قصص)	سامى فريد
● احتمالات	(قصص)	محمود جنداري
● البلورة	(قصص)	جمال فاضل
● لحس العتب	(رواية)	خيرى شلبى

الاعداد الممتازة القادمة

- المعذبون فى الأرض (رواية) طه حسين
- لنظرة اللى كفر (رواية) د. مصطفى مشرفة
- خيوط العنكبوت (روايه) ابراهيم عبد القادر المازنى
- ابراهيم الثانى (رواية) ابراهيم عبد القادر المازنى
- نائب عزرائيل (رواية) يوسف السباعى
- فساد الأمكنه (رواية) صبرى موسى
- قصص مختارة (قصص) يوسف ادريس
- الجبل (رواية) فتحى غانم
- قصص مختارة (قصص) يوسف الشارونى
- اغنية الرياح الاربع (دراما شعرية) على محمود طه
- بحيرة المساء (قصص) ابراهيم اصلان

تطلب كتب هذه السلسلة من

- باعة الصحف ● مكتبات الهيئة
- معارض الكتاب بداخل مصر والخارج
- المعرض الدائم للكتاب
- مكتبات الهيئة المتنقلة بالأحياء والأقاليم

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩١/٨٣٠٥

ISBN — 977 — 01 — 2837 — 6

من قلب الصحراء ، والمدن القديمة المتجددة قد ينبع الحلم أو يتجدد .. وفهد العتيق ، من السعودية ، صوت من الأصوات الأصيلة حاملة الحلم القديم المتجدد . واستخدام كلمة « الحلم » هنا ليس مجازا ولاهو استعارة . فقصص هذه المجموعة ، تأخذك منذ البداية إلى عالم « حُلمى » تمتزج فيه دقائق الحقيقة المعاشة مع خيوط انفعال وجدان مرهف مع تفاصيل يخلقها عقل ناقد ومتشوق للجمال وللحق ، مؤمن بجدارة الجمال والحق بالوجود ، وهو مترع - أيضا بالأسى - لأن وجودهما لا يكتمل ، وإن تحقق فإنما يتحقق فى الحلم ، ويظل أبدا مشدودا بين الذكرى وبين الأمل . فهل كان للجمال وللحق وجود سابق ضاع ، وهل يمكن أن يوجدا ثانية - أو أبدا - فى ظل واقع « الإذعان الصغير » ؟

إن شخوص فهد العتيق ، تبدو مثل منمنمات دقيقة غائمة تلتقطها العين وسط لوحة هائلة من الأشياء والعلاقات والتواريخ وحقائق الدنيا الساحقة المتمكنة . وهو يرسم بنوعين من الألوان - أو نوعين من التعبير - فى اللوحة الواحدة : للبشر ألوان الماء الخفيفة أو خيوط من حرير ؛ ولحقائق الدنيا ألوان الجواش أو الزيت الثقيل : فهل يكون الحلم - أو مغزاه - أن تزداد ألوان الناس كثافة ، أم أن تزداد ألوان الواقع رقة حتى يتوازن قطبا الإ... ويتحقق الحلم أو تستعاد الذكرى ؟ !



مطابع الهيئة المصرية العامة

